الباب الثالث

حـــى القصـــور والســـفـــارات

جاردن سيتى .. البداية مع إبراهيم باشا

تخطيط المدن مذاهب ومدارس . منها ما يتم على أساس مربعات أو مستطيلات .. وهذه المدرسة أوضح ما تكون فى المدرسة الأمريكية هندسة المدن ، وخير مثال لها مدينتا نيويورك وواشنطون .

وهناك المدرسة التى تأخذ بأسلوب الدوائر وتعتبر المدرسة الانجليزية رائدة فى هذا الأسلوب .

واتباع هذين الأسلوبين أو أحدهما يتم فقط عند إنشاء مدينة جديدة أو ضاحية جديدة . أما فى المدن القديمة فكان التخطيط يعتمد على توزيع الشوارع والمساكن حول الوسط الحكومى .

وفى مصر اتبعنا أكثر من مدرسة . مرة اتخذنا أسلوب المربعات والمستطيلات .. وجاء هذا واضحًا فى وسط القاهرة بين ميدانى التحرير وباب اللوق وحتى شارع ٢٦ يوليو .. ونلاحظ فيها تقاطع مربعات وشوارع شريف وسليمان ومحمد فريد . ثم شوارع ثروت وعدلى وقصر النيل وهكذا . وتكررت نفس المدرسة تقريبًا فى تخطيط ضاحية مصر الجديدة فى بداية القرن العشرين .. وفى مدينة نصر فى النصف الثانى من نفس القرن ..

** وفى مصر أيضًا اتبعنا المدرسة الانجليزية فى تخطيط المدن وجاء هذا واضحًا فى ضاحية المعادى .. ثم أكثر وضوحًا فى جاردن سيتى . وهذا الأسلوب يعتمد على التخطيط الدائرى الذى يبدأ ثم ينتهى على شكل شوارع دائرية .. وهناك مدرسة تعتمد على إنشاء محاور رئيسية تتقاطع أو تتعامد عليها باقى شوارع المنطقة . وهذا

واضح فى مصر الجديدة بالذات . . واتبعنا نفس مدرسة المربعات فى الجزء الجنوبى من جزيرة الروضة .

** وبالنسبة لحى جاردن سيتى نقول إن كل الأرض التى أقيم فوقها هذا الحى كانت إما غرب النيل ـ وليس فى شرقه كما هى الآن ـ وإما كانت تحت مجرى النيل نفسه . . سواء أيام بداية الفتح الإسلامى وحتى فى العصر الأيوبى والمملوكى الذى كان فيه مجرى النهر يسير فى نفس مسار شارع قصر العينى الحالى وميدان التحرير وشارع ٢٦ يوليو !!

** وجاء عصر أسرة محمد على باشا الكبير إذ اختار أفراد هذه الأسرة هذه المنطقة ليبنوا فيها القصور الضخمة ، وكان أولهم الفاتح ابراهيم باشا الذى بنى « القصر العالى» الذى كان يحده النيل غربًا ويصل جنوبًا إلى شارع قصر العينى . وشمالاً إلى ميدان الشيخ يوسف . .

** وفى أواخر عام ١٨٦٣ تنازل الخديو إسماعيل ـ بن إبراهيم باشا ـ لوالدته ـ الوالدة باشا ـ عن القصر العالى هذا مع الأراضى الملحقة به . وطبقًا لصك التنازل تم تحديد القصر ومساحته غربًا بساحل النيل وشرقًا بالطريق الموصل إلى بولاق ومصر القديمة « أى شارع قصر العينى » وجنوبًا بالطريق الفاصل بين أرض القصر العالى وقصر النيل ، وشمالاً قصر أخيه أحمد باشا . .

** فى أغسطس ١٨٧١م أصدر إسماعيل باشا أمرًا بكتابة حجة « مستند تمليك » باسم زوجته الثالثة لبناء سراى جديدة هى سراى الإسماعيلية فى المنطقة الواقعة فى جزيرة العبيط !! التى كان حدها الشرقى طريق كوبرى قصر النيل ـ أى شارع الخديو إسماعيل ـ والقبلى جنينة المرحوم أحمد باشا ، والشرقى طريق الشيخ يوسف الموصل إلى القصر العالى ، ومصر القديمة . والغربى البحر الأعظم .

من هذا يتضح أن جاردن سيتى كانت عبارة عن ثلاثة قصور كبيرة جميعها تطل على النيل غربًا ولكل منها حديقة كبيرة هى : القصر العالى ، وقصر أحمد باشا «أخو» الخديو إسماعيل ، وسراى الإسماعيلية التى تكلفت وحدها ٢٠١٢٦٠ جنيها . وموقع هذه

السراى الآن : مجمع التحرير وما أمامه من حدائق حتى شارع كوبرى قصر النيل .

أما سراى وزارة الخارجية فكانت قصرًا للأمير كمال الدين حسين ابن السلطان حسين كامل .

أحمد باشا رفعت مات غريقًا فضاع منه عرش مصر !

هو الإبن الأكبر للقائد الفاتح إبراهيم باشا ، كبر وترعرع فى عز جده محمد على باشا ومجد والده إبراهيم باشا . اسمه أحمد رفعت . . وهو الأمير الذى مات غرقًا فى حادث غريب عند كفر الزيات . أما الأخ الثانى له فكان إسماعيل باشا الذى أصبح واليا على مصر وحمل لقب الخديو . .

وجدة أحمد رفعت لأبيه هى أمينة هانم بنت على باشا الشهير باسم " مصر لى " التى تزوجها محمد على باشا وحضرت إلى مصر ومعها ٢٠٠٠ جمل لحمل متاعها وخدمها . .

وأحمد رفعت كان أحد الذين أرسلهم جده محمد على ضمن البعثة الكبرى ١٨٤٤ إلى فرنسا ، وكان بين سبعين تلميذًا اختارهم سليمان باشا الفرنساوى . وكان أحد أربعة أمراء : اثنان من أبناء محمد على هما الأمير عبد الحليم والأمير حسين . واثنان من أبناء إبراهيم هما أحمد رفعت هذا وإسماعيل باشا ، وكان ممن سافر معهم فى نفس البعثة : محمد شريف باشا . على مبارك باشا وحسن أفلاطون باشا . .

** وعند تشكيل أول مجلس للشورى فى مصر تحت اسم " مجلس المشورة " برئاسة إبراهيم باشا فى سبتمبر ١٨٢٩ وضم ١٥٦ عضوًا من العلماء والأعيان والموظفين ومأمورى الأقاليم ، كان بين أعضائه الأمير أحمد رفعت بن إبراهيم باشا . . وقد عقد هذا المجلس جلسته الأولى بالقصر العالى الذى أنشأه إبراهيم باشا فى جاردن سيتى . وكان أفخر قصورها . .

** وقد عين أحمد رفعت مأمورًا للأقاليم الوسطى . ثم عينه عمه الوالى سعيد باشا فى منصب الكتخدا فى عام ١٨٥٤م ، وهو منصب يعادل نائب الحاكم ثم عين كأول ناظر " وزير " للداخلية فى مصر فى عام ١٨٥٧م . وذلك فى بداية عهد مصر

الأمير أحمد باشا رفعت وهو الإبن الأكبر لإبراهيم باشا وكان ولى عهد عمه سعيد باشا ومات غريقاً فى حادثة كفر الزيات وبهذا وصل إسماعيل باشا إلى حكم مصر

بالنظارات أى الدواوين « الوزارات » أى عام ١٨٥٧م . ثم أصبح وليًا للعهد لعمه سعيد باشا . .

** فى حادث غريب ومثير لقى أحمد باشا مصرعه عند كفر الزيات فى حادث انقلاب القطار الذى كان يركبه فى النيل ليتبدل نظام ولاية العهد ويصبح أخوه إسماعيل ـ بعد وفاة العم سعيد ـ واليًا على مصر . .

** وقد بنى أحمد رفعت باشا قصرًا فخمًا فى جاردن سيتى غير بعيد عن قصر والده إبراهيم باشا المعروف بالقصر العالى . . وكان أقرب ما يكون إلى قصر أخيه الخديو إسماعيل « سراى الإسماعيلية » . وكان شارع عائشة التيمورية هو الحد الفاصل بين القصر العالى لإبراهيم باشا وقصر أحمد باشا أخى الخديو إسماعيل ، ومازال فى جاردن سيتى شارع يحمل اسم شارع القصر العالى . وأيضًا شارع باسم الوالدة باشا زوجة إبراهيم باشا وأم الخديو إسماعيل والأمير أحمد رفعت . .

** وقد أنجب أحمد باشا ولدين أحدهما ابراهيم على اسم والده الذى أنجب محمد وحيد الدين الذى أنجب الأمير محمد على ابراهيم والثانى هو أحمد كمال رفعت الذى أنجب الأمير يوسف كمال الذى ترك قصورًا رائعة فى الوجهين البحرى والقبلى وعزف عن الحكم . .

** وقد رعى الخديو إسماعيل أبناء أحمد باشا فزوج ابنه الأمير حسين ـ السلطان حسين كامل فيما بعد ـ من الأميرة عين الحياة بنت الأمير أحمد رفعت باشا وذلك ضمن احتفالات « أفراح الأنجال » الشهيرة . .

** ومات الأمير ولى العهد أحمد رفعت . . واندثر القصر العظيم الذى بناه ولم يبق منه إلا اسم على شارع فى جاردن سيتى هو شارع أحمد باشا الذى يقع على قمته قصر محمد فؤاد سراج الدين باشا زعيم حزب الوفد .

قصر الدوبارة .. والأميرة أمينة حرم الخديو توفيق :

** فى جاردن سيتى كان أشهر ما فيها « قصر الدوبارة » . . ليس بسبب القصر الذى كان موجودًا . . ولكن بسبب وجود السفارة البريطانية منذ كانت دارًا للحماية

إبراهيم باشا إلهامي صاحب قصر الدوبارة . . وهو ابن عباس حلمي الأول ووالد الأميرة أمينة زوجة الخديو توفيق وهي والدة الخديو عباس حلمي الثاني .

على مصر . وكان الحكم الفعلى فى مصر لقصرين هما قصر عابدين حيث مقر الحكم الرسمى لأبناء أسرة محمد على منذ عهد إسماعيل . . وقصر الدوبارة حيث المندوب السامى البريطانى أو المعتمد البريطانى . . أو السفير البريطانى . . فما هى حكاية . . قصر الدوبارة هذه ؟

** هو قصر الأميرة أمينة بنت إلهامى بن عباس حلمى الأول ، وهى زوجة الخديو توفيق بن إسماعيل ، ووالدة عباس حلمى الثانى الذى عزله الانجليز عن حكم مصر عام ١٩١٤م . وكانت هذه الأميرة تعرف بلقب « أم المحسنين » وهى من ضمن الذين احتفل بزواجهم خلال احتفالات « أفراح الأنجال » أيام الخديو إسماعيل .

وكان موقع هذا القصر فى المربع الذى يقع فيه الآن فندق شبرد الجديد على كورنيش النيل . ويطل غربًا على النهر ، ومن الجنوب الشارع الذى يفصله عن السفارة البريطانية والذى كان يعرف بشارع لاظ أوغلى . وشرقًا الشارع الذى يفصله عن السفارة الأمريكية . وكان اسم هذا الشارع شارع الوالدة باشا ، وهو الشارع الذى يحمل الآن اسم : شارع أمريكا اللاتينية . . وشمالاً الشارع الفاصل الآن بين فندقى شبرد وسميراميس .

** وشارع الوالدة باشا أطلق عليه هذا الاسم بعد أن تنازل لها ابنها الخديو إسماعيل عام ١٨٦٣ عن القصر العالى الذى بناه زوجها القائد إبراهيم .

وغرب مبنى وزارة الخارجية القديم ، كان هناك قصر تمتلكه السيدة قوت القلوب بنت عبد الرحيم باشا الدمرداش . وقد هدم هذا القصر لتوسعة ميدان كوبرى قصر النيل ، وكان هذا الميدان يحمل اسم إلهامى (ابن عباس حلمى الأول) أى والد الأميرة أمينة صاحبة قصر الدوبارة الذى نتحدث عنه الآن . .

** وفى منتصف الأربعينيات بيعت منقولات قصر الدوبارة فى مزاد علنى . وبعد هدم القصر قسمت أرضه فبنيت عليها عمارتا إيزيس وأزوريس فى الجزء الجنوبى من الأرض . وبعد حريق القاهرة يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ واحتراق فندق شبرد القديم الذى

كان يقع قرب الأزبكية ، تم بناء فندق شبرد الجديد على جزء من أرض هذا القصر فى الواجهة المطلة على النيل . كما أنشىء مبنى لوزارة الصناعة شرقى الفندق .

** وخلال النضال السياسى ضد الاحتلال البريطانى ، كانت المظاهرات تتجه إلى قصر الدوبارة حيث مقر السفارة البريطانية . . وللأسف انتهى اسم القصر الحقيقى . . وانتهى اسم إلهامى باشا من الميدان الذى كان يحمل اسمه لنضع عليه ـ وياللغرابة ـ اسم سياسى من أمريكا اللاتينية هو « سيمون بوليفار » بل ونضع له تمثالاً يتوسط هذا الميدان . وإذا كان بوليفار قد حرر الكثير من دول أمريكا اللاتينية إلا أنه انتهى إلى دكتاتور ، حتى اضطر للاستقالة ومات مكروها من مواطنيه بينما ساسة مصر العظام بلا تماثيل تنصب لهم . . ولا شوارع تحمل ذكراهم للناس !!

** وواضح أن المنطقة كانت ملكًا لهذا الفرع من أسرة محمد على . إذ تحتل وزارة الخارجية فى هذا المنطقة قصر الأمير كمال الدين حسين ابن السلطان حسين كامل . . ويبقى أن نجد فى هذه المنطقة شوارع تحمل أسماء غريبة مثل شارع الشيخ العبيط وشارع الشيخ يوسف فما هى حكاية هذين الشيخين وأين هما من شوارع جاردن سيتى . . ؟!

ميدان الشيخ يوسف صاحبه شيخ منصر !!

فى شارع قصر العينى ـ وهو أكثر شوارع القاهرة أهمية وازدحامًا يلمح المارة بين العمارتين رقم ٩٨ ورقم ١٠٠ ضريحًا فى الفراغ بينهما ، ومدخلاً خاصًا يعرفه العامة باسم ضريح الشيخ يوسف وعلى بعد خطوات نجد ميدانا يحمل نفس الاسم : ميدان الشيخ يوسف . . وحده الشرقى شارع قصر العينى بعد أمتار قليلة من ميدان التحرير . ثم وعلى سور قصر وزارة الخارجية نجد لافتة تحمل اسم . . شارع الشيخ العبيط !! . فما هى حكاية هذين الشيخين حتى نضع اسميهما فى واحد من أرقى أحياء القاهرة : حى جاردون سيتى ، أو حى السفارات . . ؟

** الشيخ يوسف كان والشيخ صالح أبو حديد وثالث لهما من اللصوص وقاطعى الطرق . وكان يتخذ من درب سعادة ميدانًا لسرقاته قرب باب الخلق ويرتدى زى

الدراويش ، وكان العامة يعتقدون أن له بركات . وكان يجلس على « الخليج المصرى » شارع بورسعيد الآن كلما حلّ الليل . فإذا مر شخص بمفرده ارتفع صوت الشيخ قائلا : يا واحد فيفهم أعضاء عصابته انه بمفرده فينقضون عليه ويسرقون ما معه ثم يقتلونه . وعندما ضج الناس نصبت الشرطة له كمينا وضبطوه متلبسًا هو وعصابته ، ولما عذبوهم اعترف هذا الشيخ على زميلين له أولهما الشيخ يوسف . وثانيهما الشيخ صالح أبى حديد . ثم قتلت الشرطة شيخ درب سعادة هذا . أما الشيخ يوسف فقد لجأ إلى « لاظ أوغلى بك » الوزير الأول للوالى محمد على باشا . وكان يحمل لقب كتخدا مصر . وهو لقب يحمل معنى نائب الحاكم ومتصرفه ، فعفا لاظ أوغلى عن الشيخ يوسف .

** وعندما مات الشيخ يوسف بنى له لاظ أوغلى مقبرة وضريحًا دفن فيه الشيخ يوسف . . وأيضًا محمد بك لاظ أوغلى !! وعندما أنشىء حى جاردن سيتى أطلقوا اسم صاحب الضريح على الأرض المجاورة له فصار يعرف باسم ميدان الشيخ يوسف وتتفرع من هذا الميدان ثلاثة شوارع تحيط بالعمارتين المذكورتين فوق الضريح .

وإذا كان اسم الشيخ قد ظل على الميدان إلاّ أن الشارع الذى كان يحمل اسمه تغير ليحمل الآن اسم الصحفى الوفدى الكبير عبد القادر حمزة باشا صاحب جريدة البلاغ الوفدية المولود عام ١٨٨٨م والمتوفى عام ١٩٤١م . وأنشأ البلاغ عام ١٩٢٣ وعطلت مرارًا لمواقفها الوطنية ضد الانجليز والسراى واستمرت فى الصدور حتى عام ١٩٥٣ .

أما زميله الشيخ« اللص صالح أبو حديد » فقد احتمى بمطربة مشهورة فادعت أنه مجنون وقيدته بالسلاسل . بعد أن عقل لسانه وعجز عن النطق من الخوف . ثم أشيع أنه يتحدث بالغيب عن طريق من حوله فأخذ يزوره الأمراء والنساء والأعيان وأتحفوه بالهدايا والنذور !

ثم أنشأ الخديو إسماعيل جامعًا قرب جامع الحنفى بحى الحنفى والناصرية وأوقف إسماعيل على الجامع ومدرسة بجواره ٤٠٠ فدان بالجيزة وعدة دكاكين ومنازل ومقاه أنشأها بجوار الجامع وجعل نظارة الوقف لديوان الأوقاف عام ١٨٧١ .

** وهكذا تحول اللص : الشيخ يوسف إلى ضريح ومزار وشارع وميدان . وتحول زميله اللص الثانى الشيخ صالح « أبو حديد » نسبة إلى القيود الحديدية التى كانت تسلسل قدميه إلى جامع فى حى الحنفى . وهو الشيخ اللص المشعوذ الذى كان ينام على الفراش لا يتكلم ويخرج من فمه أصواتًا غير مفهومة فتقول المرأة التى كانت تجلس على مقربة من رأسه إنه يقول كذا وكذا مثل : الغائب يحضر ، والقضية تكسب ، وفلانة تتزوج . . وكل حاضر يفسر هذا الكلام على هواه . . إلى أن مات فأقام له الخديو إسماعيل مسجدًا مازال قائمًا فى حى الحنفى والناصرية . وما حدث لهذين الشيخين يمثل ما كان يحدث من المصريين الذين تستهويهم الخرافات والمشعوذات .

ولكن ماذا عن حكاية الشيخ العبيط ؟!

الشيخ العبيط .. على قصر وزارة الخارجية :

للمصريين عشق ـ بل هوى ـ غريب وهوس بالغيبيات . وهم يعشقون الأولياء ، ويجعلون من كل طيب وليًا . حتى ولو كان ماضيه يحمل الكثير من الخطايا . . وإذا كان للشيخ اللص الشيخ يوسف ميدان وضريح فى جاردن سيتى ، وللشيخ اللص ـ زميله ـ المشعوذ جامع !! فإن فى القاهرة شارع بل وجزيرة تحمل اسم : الشيخ العبيط !! تمامًا كما نجد !! قنطرة الذى كفر !! « عند خليج أمير المؤمنين » شارع بورسعيد حاليًا . .

** وجزيرة العبيط هذه هى الجزء الجنوبى من جزيرة الزمالك أى فى نفس موقع دار الأوبرا الجديدة التى حلت محل أرض المعرض سابقًا . وكان هذا الجزء يعرف باسم الجزيرة الوسطى لتوسطها بين جزيرتى الروضة والزمالك قبل أن يتصل هذا الجزء بجزيرة الزمالك ، بل إن جزيرة العبيط سميت جزيرة تجاوزًا لانحصارها بين مجرى النيل ومجرى الخليج الناصرى . .

ثم اشترى الخديو إسماعيل ما كان بجزيرة العبيط من منازل وقصور ، وبدأ فى بناء «سراى الإسماعيلية الكبرى » وكان فى نيته بناء قصرين . إلا أنه اكتفى بقصر واحد هو سراى الإسماعيلية الصغرى ـ تكلفت ٢٠١٢٦٠ جنيها ، وأوقف بناء السراى الكبرى ـ

فى أرض العبيط ـ بعد أن أنفق على أساساتها ٣٨٨٢٠ جنيهًا . وموقع سراى الإسماعيلية الصغرى الآن مجمع التحرير وما أمامه من حدائق إلى شارع كوبرى قصر النيل . .

** وكان للشيخ العبيط مسجد ، دخل ضمن السور الغربى لسراي الإسماعيلية الصغرى قرب كوبرى قصر النيل القديم . وغير بعيد عن الجامع الطيبرسى . ولم يكن بجامع الشيخ العبيط مكان للوضوء . . ولكن دفن فيه الشيخ العبيط وشيخ آخر اسمه الشيخ زيدان . وموقع بناء جامع العبيط الآن جامع عمر مكرم . ويصل إليه من الشارع الذى يطل على السور الشرقى لقصر وزارة الخارجية . ولهذا حمل هذا الشارع اسم : شارع الشيخ العبيط . وتغير مع هدم المسجد وبناء مسجد عمر مكرم مكانه الى : شارع جامع عمر مكرم . . وشتان بين اسم الشيخ العبيط مجهول الهوية والسيد عمر مكرم الزعيم الشعبى الذى قاوم الحملة الفرنسية على مصر وقاد ثورة القاهرة ضدها ، وأحد الذين نَصّبوا محمد على باشا حاكمًا على مصر . . ونحن الآن نجد لافتة الشارع مكتوبة هكذا : شارع جامع عمر مكرم . سابقًا الشيخ العبيط . .

** أما فى الناحية الغربية من قصر وزارة الخارجية فكان هناك شارع يحمل اسم شارع الشيخ بركات ، وهو الذى تغير إلى شارع كمال الدين صلاح الدبلوماسى المصرى الذى سقط شهيدًا وهو يؤدى دور المراقب المصرى لعملية استقلال الصومال . واستشهد بسبب الخلافات القبلية والصراعات الدولية هناك . . تمامًا كما يحدث الآن فى الصومال !!

وحكاية المشعوذين والأسماء الغريبة على شوارعنا تجعلنا نطرح قضية أسماء الشوارع . وضرورة إعادة النظر لاستبعاد الغريب منها والشاذ مثل هؤلاء الشيوخ اللصوص : الشيخ يوسف والشيخ صالح . . والشيخ العبيط . . بينما أبطال مصر ورجالها الذين قادوا نضالها بعيدين عن ذكرى الأمة وذاكرة الشعب . .

وما دمنا فى جاردن سيتى فما هى حكاية « القصر العينى » ومن هو هذا العينى الذى وضعنا اسمه على واحد من أهم شوارع القاهرة ؟!

شهاب الدين أحمد صاحب قصر العينى !

غير بعيد عن قصر الحكم « قصر عابدين » ومبانى الوزارات بما فيها مجلس الوزراء نفسه . . ثم البرلمان سواء مجلس الشورى القديم الذى احتلت موقعه وزارة الأشغال . . ثم عاد لمجلس الشورى الجديد . . غير بعيد عن كل هذا يقع شارع قصر العينى ، الذى ينطقه البعض خطأ : القصر العينى . . ما هى حكاية هذا الشارع الممتد من عند فم الخليج والسواقى وسور العيون إلى ميدان التحرير ، الاسماعيلية سابقًا . .

** بداية هو قصر أنشأه شهاب الدين أحمد بن عبد الرحيم ابن قاضى القضاة الحنفية : بدر الدين محمود . . العينى !! وبدر الدين هذا أصله من عينتاب شمال مدينة حلب وموقعها الآن داخل الأراضى التركية . . ومن عينتاب هذه ينسب العينى . . وقد تولى بدر الدين العينى هذا « الحسبة » كما تولى قضاء الحنفية عدة مرات . وكان مقربًا للسلطان المملوكى المؤيد شيخ وتوفى الشيخ بدر الدين العينى عام ٨٥٥ هـ . ودفن بمدرسته المعروفة باسمه أى المدرسة العينية بشارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

** وتزوج ابنه عبد الرحيم من ابنة خوند الأحمدية التى ولدت له شهاب الدين أحمد الذى بنى قصر . . العينى . .

وارتفع شأن أحمد العينى هذا فى عهد السلطان خوشقدم فأنعم عليه عام ٨٦٩هـ «بإمارة مائة تقدمة ألف » وهى أعلى الرتب العسكرية ثم جعله أميرًا للمحمل ، أى للحج . ثم عين مسئولاً عن اسطبلات السلطان . .

** وفى عام ٨٧١هـ ـ ١٤٦٦م أنشأ قصرًا عظيمًا على البحر أى النيل . إذ كان عامة مصر وبسبب اتساع نهر النيل يسمونه « البحر » وذلك بمنشية المهرانى نسبة للأمير يلباى المهرانى أيام الظاهر بيبرس الذى يعتبر أول من عمر هذه المنطقة بعد أن تحرك مجرى النيل عنها غربًا لتصبح أرضًا خصبة . وكان موقعها بين فم الخليج وقصر العينى الآن .

وعندما اكتمل بناء هذا القصر دعا صاحبه أحمد العينى سلطان البلاد السلطان

خوشقدم لافتتاحه وزيارته . واستجاب السلطان فزار القصر « وتفرج على البحر » وقضى يومًا سلطانيًا بديعا ، ثم أنعم على أحمد العينى برتبة الإمارة العسكرية وأصبح قائمًا بأمور السلطنة مع زميله الأمير خير بك . .

** وكما يقول المؤرخون أدار له الحظ « ظهر المجن » وبعد أن كان يطلق عليه لقب عزيز مصر حتى طمع فى أن يصير سلطانًا تغيرت الأحوال عندما تولى الأشرف قايتباى السلطنة عام ٨٧٢هـ فقبض عليه وضربه السلطان قايتباى بيده ٢٠ ضربة عصا حتى أغمى عليه ونهب العامة قصره أثناء القبض عليه . وبعد أن وعد السلطان بسداد ٢٠ ألف دينار كل شهر أفرج عنه . ولكن سرعان ما أعيد القبض عليه لتأخره فى السداد . وظل العينى بعيدًا عن الوظائف العامة وإن ظل مقربًا من السلطان كواحد من الأعيان إلى أن توفى قايتباى وتولى قانصوه الغورى السلطنة فقبض عليه وألزمه بسداد بعض الأموال . ولكنه هرب إلى مكة ثم إلى المدينة فأرسل الغورى من يأتى بالعينى مكبلاً بالسلاسل والحديد .

ولكن أحمد العينى مات بالمدينة المنورة ودفن فى البقيع عام ٩٠٩ هـ ليصبح قصره من أملاك الدولة . وبسقوط الدولة المملوكية وتحولها إلى ولاية عثمانية منذ ١٥١٧م ، استولى بكوات المماليك على القصر وحولوه إلى مكان للنزهة ، وأحيانًا إلى قصر للضيافة ، أو إلى مكان للحبس الجبرى أى يقيم فيه من يغضب عليه من الأمراء . . وأحيانًا إلى مجلس للوالى نفسه إذا عزله أمراء المماليك . .

** وفى أواخر عصر بكوات المماليك كان كبيرهم : إبراهيم بك الكبير ينزل فى قصر العينى أغلب وقته حتى وصلت حملة بونابرت إلى مصر عام ١٧٩٨م ليدخل القصر مرحلة جديدة من تاريخه .

وفى أواخر عصر بكوات المماليك ، وقبيل وصول حملة بونابرت ، حدثت فتنة كبيرة بين المماليك ، فهاجموا قصر العينى ونهبوا ما فيه وخربوه ثم أحرقوه . . ولكن مع قدوم حملة بونابرت ١٧٩٨ استعمل بونابرت قصر العينى كمستشفى لجنود وضباط الحملة . . ولما انقض الشاب الأزهرى القادم من حلب : سليمان الحلبى على كليبر فى مقر قيادته بقصر محمد بك الألفى فى الأزبكية وقتله بالخنجر ، نقل الفرنسيون جثمان كليبر

الجنرال كليبير خليفة نابليون بونابرت فى حكم مصر . اغتاله سليمان الحلبى فى قصر الألفى ، ودفنوه فى حديقة قصر العينى

الذى ينطقة البعض خطأ « كليبر » إلى حديقة هذا القصر ودفنوه فيها . . ثم نقلوا الجثمان معهم عند جلائهم عن القاهرة يوم ١٥ يوليو ١٨٠١ .

** وأهمل القصر إلى أن أنشأ محمد على باشا مدرسة حربية عام ١٨٢٥ فى هذا القصر . . ثم بدأت مسيرة قصر العينى مع الطب والأطباء . ففى عام ١٨٣١م أمر محمد على باشا بإلحاق شخصين من أغوات الحريم بمدرسة الطب فى أبى زعبل التى أنشأها كلوت بك لتعليمهما الطب والجراحة لخدمة سيدات العائلة الحاكمة : أحدهما محمد الشافعى الذى أرسله محمد على باشا لاستكمال دراسة الطب فى فرنسا بعد ذلك . . وأصبح أول مصرى يتولى رئاسة مدرسة طب قصر العينى . .

** وفى عام ١٨٥٦ أصدر والى مصر سعيد باشا قرارًا بإنشاء مجلس خصوصى للطب . ثم صدر قرار بإنشاء مدرسة الطب فى قصر العينى ملحقة « باستبالية قصر العينى » لتعليم الطب والجراحة والعلوم الطبية والصيدلية ، وافتتحت رسميا فى أول سبتمبر ١٨٥٦ على أن يكون تلاميذها « ممن يحسنون القراءة والكتابة » وسنهم نحو ١٥ سنة » . وتقرر أن يكون عدد تلاميذ مدرسة الطب ٨٠ منهم ٦٠ لتعليم الطب والجراحة ليكونوا « حكماء » وياله من اسم . . و٢٠ لتعليم العلوم الطبية والأجزاء ليكونوا « أجزاجية » أى صيادلة . وكانت مدة الدراسة ٥ سنوات يمنح الدارس خلالها ٧٥ قرشًا شهريًا كمصروف مع توزيع الكساوى والمأكولات عليهم فضلاً عن الإقامة!!

** وقدم كلوت بك « مدير المستشفى والمدرسة » لائحة لإدارة المدرسة تنظم قواعد القبول والدراسة . وكان كل دارس يحصل على « كسوة من الجوخ الأزرق . وكسوتين من البفتة سنويًا وطربوش وحزام ومركوبين وثلاثة ألبسة وثلاث طواقى !!

** وليس هناك شك فى اهتمام محمد على بالطب والصحة العامة ، فقد أسس «مجلس الصحة والاستبالية » عام ١٨٢٧ الذى حول إلى مجلس الصحة العمومية عام ١٨٣٥ . . وبعد ١٠٠ عام أى فى ١٩٣٥ أنشئت وزارة الصحة فى عهد الملك فؤاد الأول .

** وفى عام ١٩٢٥ عندإنشاء جامعة فؤاد الأول ـ محل الجامعة المصرية التى أنشئت

كلوت بك ناظر مدرسة الطب [طب قصر العيني] ومفتش عموم الصحة . وهو فرنسي الأصل
وأعطى لمصر الكثير ، ويعتبر رائداً للطب المصري الحديث .

عام ١٩٠٨ ـ انضمت مدرسة الطب فى قصر العينى إلى الجامعة الوليدة وأصبحت كلية للطب . .

وفى عام ١٩٢٩ تم تخصيص ٤٤ فدانًا بجزيرة الروضة لإقامة مستشفى جديد وكلية طب جديدة . وسميت المستشفى باسم فؤاد الأول وتولى الاشراف عليها وعلى إنشائها طبيب مصر الكبير الدكتور على باشا ابراهيم الذى كان مديرا للجامعة .

واستمرت عملية البناء إلى ما بعد ١٩٥٢ وعرفت باسم : قصر العينى الجديد . ثم تقرر هدم قصر العينى القديم كمستشفى وكلية فى السبعينيات . . وتم إعادة بناء مستشفى عصرى جديد وكلية للطب اسمها قصر العينى الجديد . . وهكذا !!

** وحول منطقة قصر العينى القديم تم إطلاق أسماء مشاهير الأطباء الذين تخرجوا فى مدرسة الطب وكليتها على شوارع المنطقة تكريمًا للعقول المصرية العظيمة التى صنعت مجد الطب المصرى .

الفرنساوى الذى أنشأ كلية الطب :

هو واحد من الأجانب الذين وفدوا إلى مصر فعملوا فيها وخدموا الشعب المصرى فحفظ الشعب لهم هذا الوفاء ، وخلدهم وأقام التماثيل لهم ، وأطلق أسماءهم على أهم شوارع مصر . . من هؤلاء الدكتور كلوت بك . . والكولونيل سيف " سليمان " الفرنساوى ونوبار باشا وغيرهم . . وربما يكون من أهم أسباب نجاحهم حسن اختيار محمد على باشا لهم ، من بين الأجانب الذين وفدوا على مصر . وقد تحدثنا عن سليمان الفرنساوى . . وعن نوبار باشا والآن نروى حكاية كلوت بك صاحب الشارع الشهير الذى يربط ميدان العتبة الخضراء بميدان باب الحديد . .

وإذا ذكرنا اسم مستشفى قصر العينى . . أو تحدثنا عن كلية الطب فإن أول ما يتبادر إلى الذهن ـ وفورًا ـ اسم كلوت بك هذا الطبيب الفرنسى الأصل الذى ارتبط به هذا المستشفى كما ارتبطت باسمه أول كلية للطب فى مصر والشرق . .

** ولد أ . ب كلوت بك فى مدينة جرينوبل الفرنسية عام ١٧٩٣ أى بعد ٤ سنوات فقط من اشتعال الثورة الفرنسية . ولد من أبوين فقيرين . وتعلم الطب . .

وحتى يدبر تكاليف الدراسة اشتغل « صبى حلاق » فى مرسيليا . وعندما أتم دراسته عين طبيبًا ثانيًا فى مستشفى الصدقة فى مرسيليا . ثم عمل طبيبا حرًا إلى أن تعرف على تاجر فرنسى كان محمد على باشا قد كلفه بالبحث عن طبيب للجيش المصرى . وهكذا جاء كلوت بك إلى مصر عام ١٨٢٥ فعهد إليه محمد على بتنظيم الادارة الصحية للجيش ، والتى كانت قد أنشئت قبل ذلك بخمس سنوات . . وصدر قرار بتعيينه رئيسًا لأطباء الجيش . وجاء قرار تعيينه هكذا « يعين الحكيم كلوت بك مفتشًا لعموم الصحة بديوان البحرية والجهادية » وزارة الحربية والبحرية » وعضوا بمجلس شورى الأطباء وناظرًا لمدرسة الطب البشرى والبيطرى ، مع مباشرة ورؤية أعمال الحكماء «الأطباء » والأجزاجية « الصيادلة » ويؤكد عليه برؤية تلك المصالح المحالة لعهدته . . » .

** وفى هذا الفترة كانت الخانكة مقرًا للمعسكر العام للجيش المصرى ، فأشار كلوت بك على الوالى محمد على باشا بإنشاء مستشفى عسكرى فى أبى زعبل بجوار هذا المعسكر . . وبالفعل وافق محمد على وأنشأ المستشفى الذى أصبح بعد ذلك مستشفى عامًا لمعالجة الجنود ، ونموذجًا للمستشفيات التى أنشئت بعده . .

** وجاءت الخطوة الثانية عندما فكر فى إنشاء مدرسة لتخريج الأطباء من المصريين . ووافق محمد على وتم بالفعل إنشاء هذه المدرسة بجوار المستشفى العسكرى فى أبى زعبل عام ١٨٢٧ . وهى المدرسة التى أصبحت بداية النهضة الطبية فى مصر . وتولى كلوت بك إدارة مدرسة الطب هذه . .

** ثم جاءت الخطوة التى ربطت بين كلوت بك ومدرسة الطب وقصر العينى . . إذ فى عام ١٨٣٧ تم نقل المستشفى والمدرسة إلى قصر أحمد العينى ليدخل تعليم الطب فى مصر مرحلة جديدة ، فأعاد الحياة إلى هذا القصر الذى كان قد تخرب وأحرق خلال إحدى ثورات المماليك . .

وتوسع كلوت بك فى اهتمامه بالصحة . . وحول المستشفى من مكان لعلاج الجنود وحدهم إلى علاج كل المرضى . . وعند بداية عهد المدرسة عام ١٨٢٧ ، اختار كلوت بك مائة تلميذ من طلبة الأزهر ، واختار عددًا من خيرة أطباء فرنسا وأوربا ليدرسوا

للطلبة علوم التشريح والجراحة والباطنة وعلوم الصحة والصيدلة والطب الشرعى والطبيعة والكيمياء . . وأمراض النساء . . وكان بالمدرسة أساتذة يدرسون اللغة الفرنسية للطلبة الأزهريين ، وجعل لكل أستاذ معيدا مترجما إلى العربية . . وتلك كانت بداية كلية طب قصر العينى .

. . وبعد خمس سنوات من بدء الدراسة بمدرسة الطب تخرجت الدفعة الأولى من الأطباء المصريين الأزهريين فى الأصل . وكانت المدرسة مازالت فى موقعها الأول فى «أبو زعبل » وتم توزيع هؤلاء الخريجين الأول على المستشفيات وعلى وحدات وفرق الجيش المصرى ، ومن هؤلاء تم اختيار عشرين طبيبًا ليعملوا معيدين للدروس ، إذ كان الأستاذ الأجنبى يلقى درسه باللغة الفرنسية ثم يتولى هؤلاء إعادة إلقاء الدروس بعد ترجمتها إلى العربية . ومن هنا جاء اسم « معيد » كما تم اختيار ١٢ من النابهين وتم إرسالهم فى بعثة إلى فرنسا لإتقان علوم الطب والصيدلة ولما عادوا عينوا أساتذة فى مدرسة الطب .

** وفى عام ١٨٣٧ تم نقل المدرسة والمستشفى إلى قصر العينى لتكون أقرب إلى القاهرة . . وإلى الخدمة العامة وألحقت بمدرسة الطب هناك مدرسة خاصة للصيدلة . ثم مدرسة للقابلات والولادة واختيرت لها مجموعة من الفتيات الحبشيات والسودانيات تعلمن العربية وفن الولادة وتم إنشاء مستشفى صغير خصص للنساء قبل أن ينقل الكل إلى قصر العينى . . وألحقت بالمدرسة الأولى حديقة زرعت بكل النباتات النادرة والأعشاب الطبية التى هى أساس علم « الأجزا » أى علم الصيدلة .

** ومع عصر « الردة » أيام عباس الأول ، اضمحلت مدرسة الطب فى قصر العينى فترك كلوت بك مصر وعاد إلى فرنسا . . ثم فى عهد سعيد باشا تم إغلاق المدرسة وتوزيع طلابها للعمل فى الجيش . ولكن « سعيد باشا» سرعان ما قرر إعادة فتحها ، فاستدعى كلوت بك من فرنسا وأعيد فتح المدرسة فى احتفال كبير عام ١٨٥٦ . غير أن صحة ـ ملك الصحة ـ سرعان ما تدهورت فعاد إلى بلاده بعد عامين وأقام فى فرنسا إلى أن مات فى أغسطس ١٨٦٨ .

** ولم تقف جهود كلوت بك عند حد مدرسة الطب . بل أنشأ مجلسًا للصحة

البحرية فى الاسكندرية . وعندما انتشر وباء الجدرى اقترح استعمال أسلوب التطعيم لينقذ ٦٠ الفًا من المصريين الأطفال كانوا يموتون كل عام . . وعندما انتشر وباء الكوليرا فى مصر عام ١٨٣٠ اشرف على مقاومته هو وتلاميذه وكافأه محمد على بالإنعام عليه بلقب « بك » ليعرف باسم كلوت بك . وعندما ظهر وباء الطاعون فى مصر عام ١٨٣٥ بذل جهودًا كبيرة فى مقاومته فأنعم عليه محمد على برتبة « أمير اللواء » .

** وقد ترك كلوت بك مؤلفات عدة فى الطب . ولكن من أهم ما تركه كتاب رائع هو « لمحة عامة إلى مصر » تم ترجمته للعربية وصدر فى ٣ أجزاء ، وهو بلا جدال أهم مرجع فى وصف الحياة المصرية خلال الفترة التى تلت الحملة الفرنسية على مصر ، وطوال عهود محمد على وعباس وسعيد . وقد كرمته فرنسا فمنحته وسام اللجيون دوتور من درجه فارس وعلى عدة أوسمة من درجة كوماندور والدكتوراه فى الطب والجراحة وأصبح عضوا فى أكاديمية الطب الملكية فى باريس وأكاديمية العلوم فى نابولى .

** وإذا كان كلوت بك له تمثال نصفى فى كلية الطب فإنه ضمن خطة شق الشوارع العصرية التى أشرف عليها على باشا مبارك فى زمن الخديو اسماعيل . . تقرر عام ١٨٧٢ شق شارع يربط محطة السكة الحديد بالأزبكية وليربط شارع محمد على بالقلعة . . وأطلق على هذا الشارع اسم كلوت بك بعد تمام شقه عام ١٨٧٣ . (ولاحظوا الربط بين اسمى محمد على . . وكلوت بك) حتى يتمكن القادم بالسكة الحديد من اختراق شارع كلوت بك إلى ميدان العتبة ـ صرة العاصمة ـ ثم إلى شارع محمد على . . ثم إلى القلعة . .

** وأصبح شارع كلوت بك محورًا رئيسيًا للمرور . ومُدَّ فيه خطٌّ للترام وبنيت البيوت على جانبيه على طراز البواكى لحماية المارة والمحال . . ولكن للأسف تحول الشارع إلى منطقة للبغاء عندما كان مسموحًا به رسميًا قبل أن يلغى نهائيًا فى نهاية الأربعينيات .